﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: 35 - 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

الانتقال من استحقاق العذاب إلى ذكر أسبابه

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ استحقاقَ المُجرمينَ للعَذاب؛ جاءت هاتانِ الآيتانِ لتعليلِ ذلك الحُكم، وذلك ببيانِ إجرامِهم، وهو الشِّركُ باللّهِ، والتَّكبُّرُ عن الدَّعوةِ إلى توحيدِهِ، والقدحُ في رسولِه ﷺ بنِسبَتِهِ إلى الشِّعرِ والجُنون[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: (كبر) هو أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خِلافِ الصِّغَر، وهو نُموُّ حجمِ الشَّيءِ وزيادتُهُ[2]، ومِنَ الكِبَرِ العظمةُ، وكُبْرُ كلِّ شيءٍ: عِظَمُهُ[3]، ومنه العِظَمُ المَعنويُّ في قولِه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد: 9][4]، ومنهُ الرِّفعةُ والشَّرَفُ، والتَّكبُّرُ والاستكبارُ: التَّعظُّمُ، واستُعملَ في إبرازِ تحقُّقِ الصِّفةِ تمامَ التَّحقُّقِ، كما في قولِه سبحانه: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: 23]، أو تكلُّفُ عَظَمةِ القَدْرِ وادِّعاؤُها، كما في قولِ الحقِّ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 146]، ومنه الاستكبارُ بمعنى الأَنَفةِ والاستنكافِ من شيءٍ مّا، كأنَّه أعظمُ مِن هذا الشَّيءِ، يقولُ ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: 59][5]، وهو المعنى المقصود في الآيةِ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 331، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 99، والمراغي، تفسير المراغي: 23/ 54، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كبر).

(3) الخليل، العين: (كبر).

(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كبر).

(5) الزبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كبر).

2) ﴿لِشَاعِرٍ﴾: (شعر) له أصلانِ: أحدُهما من الشَّعْرِ، وهو الَّذي يَنمو على الجَسَدِ، وشَعَرْتُ: أصبتُ الشَّعْرَ[1]، والشِّعارُ هو ما يُلبَسُ على الجسدِ مُلامِسًا للشَّعر، ومنه الشِّعارُ الخاصُّ بالحرب، أي: ما يُلبَسُ؛ ليُعلَمَ غيرُهُ بالحَرب[2]، فصار الشِّعارُ إعلامًا، وهو المعنى الثاني، ولأنَّ الشَّعرَ دقيقٌ أو نفاذَهُ دقيقٌ؛ صارَ الشُّعورُ هو التَّفطُّن للدَّقيق، والمشاعرُ الحواسُّ، يقول تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: 2][3]، والشُّعورُ: الفطنةُ والمعرفةُ، ومنه سُمّيَ الشّاعرُ الَّذي يَقرضُ الشِّعرَ (شاعرًا)؛ لفِطنَتِهِ ودقَّةِ معرفتِهِ، وأنَّهُ يَشعُرُ ما لا يَشعُرُ بهِ غيره[4]، وهو المعنى المقصود في الآية.

3) ﴿مَّجْنُونٍ﴾: (جنن)؛ أي: سَتَرَ، وجنَّهُ اللَّيلُ أجنَّهُ، وجَنَّ عليه: سَتَرَهُ، وأجنَّهُ جعلَ له ما يَجِنُّهُ، والجَنانُ القلبُ؛ لكونِه مستورًا عن الحاسَّةِ، والمِجَنُّ: التِّرسُ الَّذي يَجِنُّ صاحبَهُ، ويَحميه، قال ﷺ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ [المجادلة: 16]، والجَنَّة ما يَسترُ أشجارُها أرضَها[5]، والجُنونُ: تغطيةُ العقلِ وتغييبُه[6]، يقولُ سبحانه: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [سبأ: 46]، وقيل: جنَّ؛ إذا أصابَهُ الجِنُّ، وقيل: أُصيبَ جَنانُهُ[7]، ومعنى ﴿مَّجْنُونٍ﴾ في الآية؛ أي: يهذي بما لا يَعقِلُ[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وصفَ اللّهُ أصحابَ العذابِ بأنَّهم المُجرمون، وبيَّن أكبرَ إجرامِهم، فقد كان حالُهُم أنَّهم إذا جاءَهم الدّاعي إلى الإيمانِ

الإصـــرارُ على الجُحودِ إجرامٌ يَـتـجـاوَزُ كـلَّ الحُدود

(1) الراغب، المفردات: (شعر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).
(3) الراغب، المفردات: (شعر).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (شعر).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (جنّ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، (جنّ)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جنن).
(7) الراغب، المفردات: (جنّ).
(8) المراغي، تفسير المراغي: 23/ 54.

باللّه إلهًا واحدًا يَأنفونَ، ويُصرِّونَ على جُحودهم للحقِّ، ويُردِّدونَ باستهزاءٍ وغُرورٍ، يقولون: أتدعونا إلى أنْ نُنكِرَ آلهتَنا الَّتي عليها آباؤنا، لأجلِ ما يَهذي به شاعرٌ مُفترٍ، ويعنونَ بالشّاعر المَجنون - قبَّحهم اللّه - رسولَ اللّه ﷺ[1]، فالإجرامُ كلُّه يتمثَّلُ في إنكارِ كلمتَي التَّوحيدِ: (لا إلهَ إلّا اللّه محمَّدٌ رسولُ اللّه).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ التَّعبيرِ بـ(إنَّ):

الاستكبارُ الأثيم والقولُ السَّقيم

ابتدأ النَّظمُ بـ(إنَّ) في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ﴾، وهي حرفُ توكيد، جيءَ به للاهتمامِ بالخبرِ، وهو كونُهم مُستكبرينَ مُستهزئين، وهي في مَعرضِ التَّعليلِ للحُكمِ السّابق، أي: مُجازاةُ المُجرمينَ بالعذاب، فأفادتِ التَّعليلَ والرَّبطَ، وأغنَتْ غَناءَ فاءِ التَّفريعِ[2]، وأصلُ العبارةِ: (فإنَّهم كانوا يَستكبرونَ عن الحقِّ).

عَوْدُ الضَّميرِ (هم):

من شأنِ المجرمينَ التَّخلُّقُ بصفاتِ المُتكبِّرينَ

تضمَّنَ لفظُ ﴿إِنَّهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ﴾ الضَّميرَ (هم)، العائدَ على المجرمينَ الَّذينَ ينالونَ العذابَ المهين، وهو ما يدلُّ على أنَّ لفظ (المجرمينَ) مختصٌّ بالكافِرينَ[3]، ويُشير إلى استحقاقِ هؤلاءِ للعذابِ؛ لأنَّهم مُستكبِرونَ عنِ الحقِّ مُشركون، وبالرَّسولِ مُستهزِئونَ[4].

وجهُ التَّعبيرِ بفعلِ الكَينونةِ الماضي ﴿كَانُوٓاْ﴾:

أهليَّةُ عذابِ الكُفّارِ لتمكُّنِهم في الاستكبارِ

عبَّرتِ الآيةُ بلفظِ الكَينونة ﴿كَانُوٓاْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم دائمًا ما يَستكبرونَ عن الحقِّ[5]، فهو

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 81.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 331.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 33.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 225.

وصفٌ مُتمكِّنٌ فيهم غيرُ مُنقطِعٍ، ولا يَحيدونَ عنه[1]، ممّا يجعلُهُم أهلًا للعَذاب.

علَّةُ إيثارِ ﴿إِذَا﴾:

آثرتِ الآيةُ التَّعبيرَ بـ ﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ دونَ (إنْ)، ويرجعُ سرُّ ذلك إلى دلالةِ ﴿إِذَا﴾ على المقطوعِ به والغالبِ، في حين تدلُّ (إنْ) على المُحتمِلِ والنّادرِ[2]؛ إذ استكبارُهم هو موقفٌ مُتجدِّدٌ مُتكرِّرٌ، فكلَّما قيلَ لهم ذلك؛ استكبروا.

مِـــن وجـــوهِ الجحودِ تجدُّدُ الـكِـبْرِ بتجدُّدِ الذِّكْرِ

نكتةُ التَّعبيرِ بفعلِ القول المبنيِّ للمفعول:

عبَّرَ النَّظمُ بالفعلِ الماضي المبنيِّ للمفعولِ في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، ونكتةُ ذلك التَّركيزُ على القولِ دونَ النَّظرِ إلى القائل، مع أنَّ الدّاعيَ – وهو النَّبيُّ ﷺ – معلومٌ، فحُذِفَ اللَّفظُ لعلمِهم به[3]، فهُم إذا قيلَ لهم مِن أيِّ قائلٍ كان؛ استكبروا[4]، ممّا يشير إلى أنَّ موقفَهم الرّافضَ كان لأجلِ شهادةِ التَّوحيد، مهما جاءَهم القولُ بطريقِ الدَّعوةِ والتَّلقين[5]، وأنَّهم انتفضوا، واستكبروا أن يُدعَوا بهذه الدَّعوة.

يَـرفُـضُ المُتكبِّرُ الحقَّ مِنْ أيِّ مَنْ بِهِ نطقَ

معنى اللّام في ﴿لَهُمْ﴾ وتقديمها:

تعدَّى الفعلُ ﴿قِيلَ﴾ بـ(اللّام) في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على الاختصاصِ والأجَل، أي: إنَّ المقصودَ بالقولِ هم هؤلاءِ المُشركونَ، فهي دعوةٌ لهم، وليستْ لغيرهم، وهي دعوةٌ لأجلهم وجهدٌ لإقناعهم واهتمامٌ بهم، وقد قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ على مَقولِ القول، وسرُّ تقديمِهِ هو قصدُهُم بالدَّعوةِ والاعتناءُ بهم خاصَّةً، معَ الإشارةِ إلى أنَّ المقصودَ بدَعوتِهم هو إيمانُهم.

الـكِـبْرُ تغييبٌ للعقل، فيعمَى عن نورِ الأمَل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107.
(2) السامرائي، معاني النحو: 4/ 61.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 225.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 189.

نكتةُ إيثارِ ﴿لَآ﴾:

عبَّرتِ الآيةُ بـ﴿لَآ﴾ النّافية للجنس في قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ النَّفي بها نفيٌ ابتدائيٌّ، فتلقى الكلمة خاليةً من استحضارِ جدالٍ أوِ ادِّعاءٍ، بخلاف النَّفي بـ(ما)، فيأتي ردًّا على ادِّعاء[1]، وفي ذلك إشارةٌ إلى ابتدائِهم بالدَّعوة، كما أنَّ ﴿لَآ﴾ نصٌّ في نفي الجنس على سبيلِ الاستغراق؛ تأكيدًا لنفيِ الأُلوهيَّة عن غير اللهِ وإثباتِ الأُلوهيَّة له تعالى وحدَهُ.

وجهُ تنكيرِ ﴿إِلَٰهَ﴾:

نـفـيُ ادِّعـاءِ الألوهيَّةِ ترسيخٌ للوحدانيَّة

جاءَ لفظُ ﴿إِلَٰهَ﴾ مُنكَّرًا في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ويكمنُ وجهُ تنكيرِه في حَمْلِه على العُموم في سياقِ النَّفي المُستغرِق، فلا وجودَ للإلهِ مهما كان هذا الإلهُ المُدَّعى، ومهما كانَ نوعُهُ أوْ مقامُهُ؛ فتندرجُ فيه كلُّ آلهةِ العربِ، وكلُّ ما يُعبَدُ من آلهةٍ، ففي التَّنكيرِ تأكيدٌ لمعنى النَّفي.

بلاغةُ الاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾:

قصرُ الألوهيَّةِ في الله سبحانَه دونَ سِواه

جاءَ الاستثناءُ في قولِه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وتكمنُ بلاغتُهُ في دفعِ توهُّمِ أنْ يكونَ ما بعدَ (إلّا) داخلًا في النَّفي الَّذي سبقَها، فإذا سَبَقَتْ (لا) النّافيةُ للجنس (إلّا)؛ فقد نفَتْ كلَّ ما يُطلَقُ عليه (الإله) أنْ يكونَ حقًّا إلهًا، فيبقى النَّفيُ صادقًا على الجميع، ويُستثنى اللهُ ﷻ من هذا النَّفي، فهي تفيدُ اختصاصَ الإثباتِ للّه تعالى إلهًا، فكأنَّ المعنى: اللّهُ وحدَهُ هو الإلهُ الحقُّ دونَ سِواهُ.

سرُّ التَّعبيرِ باسمِهِ الأعظَم:

اللهُ تعالى هو الإلهُ الحقُّ المتفرِّدُ بالألوهيَّة

عبَّرتِ الآيةُ عن المُستثنى باسمِ الجلالةِ في قولِه تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ وذلك للعلاقةِ بينَ معنى (الإله) ولفظ ﴿ٱللَّهُ﴾، فاسمُ الجلالةِ يَنطبِقُ عليه كمالُ وصفِ الإلهِ، ودلَّ الاستثناءُ على تفرُّدِ

(1) السامرائي، معاني النحو: 1/ 335.

اللّه ﷻ بصفاتِ الإله، فهو الملكُ الأعلى، وهو الحقُّ المتفرِّدُ بالألوهيَّة كما بالخالقيَّة[1]، وليكونَ الاسمُ الجليلُ علَّةً لانحصارِ الألوهيَّة فيه تعالى؛ إذ المُستحِقُّ لجميعِ أوصافِ الجلالِ يشيرُ إلى علَّة النَّفي والانحصارِ فيه.

نكتةُ إيثارِ المُضارع ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

تمكُّنُ الاستكبارِ يُجدِّدُ الإنكارَ

عبَّرتِ الآيةُ بلفظ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ في قوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ لدلالةِ المُضارعِ على التَّجدُّدِ والاستمرار، فدلَّ على تجدُّدِ استكبارهم؛ كلَّما بلغَتْهم الدَّعوةَ إلى الحقِّ، وهو ما يُشيرُ إلى طُغيانِهم وتجذُّرِ إعراضِهم عن الحقِّ تعاظُمًا[2]، وفي صوغِ لفظِ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ مجموعًا إشارةٌ إلى الفريقينِ السّابقينِ في خصامِ أهلِ النّار، فهُم على الرَّغمِ من اختلاف موقعِهم إلّا أنَّ السِّمةَ الجامعةَ لهم هي الاستكبار، والإتيان بالاستكبار عند سماع كلمة التّوحيد، هو لبيان أنّ المانع من الإيمان مرض القلب، واستكبار الفؤاد.

بلاغةُ حذفِ مُتعلَّقِ: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

الاستكبارُ على الحقِّ ضررٌ جسيمٌ

حُذِفَ مُتعلَّقُ الفعلِ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ من قوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقد اتَّسعَ مجالُ التَّقديرِ عندَ المُفسِّرينَ، فهؤلاءِ استكبروا عن قبولِ كلمةِ التَّوحيد[3]، فتعاظَموا أنْ يَقولوها[4]، واستكبروا على مَن يدعوهُم إليها[5]، وما ذلك إلّا لبلاغةِ الحذف هنا، وهو أن يتَّسعَ المجالُ ليَتصوَّرَ المستمِعُ للآيةِ أيَّ تكبُّرٍ كانَ عليه هؤلاء، بل ليركِّز أكثرَ على الفعلِ دون متعلِّقاتِه، وبه يكون الفعل

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 225.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 33.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 189.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 11.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 9.

منزّلًا منزلة اللازم، ولعموم التقدير، فهو استكبار على الحق، وعلى رسول الحق، وعلى كلام الحق، وهو من أبشع الاستكبار وأشنعه.

دلالةُ صيغةِ (استفعل):

تَـصـنُّـعُ الـكِـبْرِ يسفُّ كلَّ خيرٍ

جاءَ لفظُ: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ بصيغةِ (استفعلَ)، وتُحمَلُ السّينُ والتاءُ فيها على المبالغةِ، وهو ما يمنحُ التَّكبُّرَ شدَّةً، أي: إنَّهم يتعاظمونَ عن أنْ يَقبلوا ذلك مِن رجلٍ مثلهم، وقد تُحمَلُ السّينُ والتّاءُ على الطَّلب، أي: إنَّهم يطلبونَ الكِبْرَ، ويتصنَّعون التَّكبُّر، فيبدو عليهم الإباءُ والاشمئزازُ من هذا القول[1]، وفي كلا الاحتمالين هنالك إشارةٌ إلى شدَّةِ الطُّغيانِ وقبحِ المواجهةِ بذلك التَّعاظُمِ الفارغ، وصيغةُ (استفعلَ) تدلُّ على الطَّلبِ، فكأنَّهم من شدَّةِ كِبْرِهم يَطلبونَ الكِبْرَ، ويَبحثونَ عنه، وفي ذلك من المبالغةِ في التَّكبُّر والأنفةِ عن الحقِّ ما لا يخفى، مع أنَّ الكبرَ أمرٌ معنويٌّ لا يُطلَبُ، لكنَّهم شبَّهوهُ بأمرٍ جسمانيٍّ مطلوبٍ تجسيمًا له على سبيلِ الاستعارةِ المكنيَّةِ معَ حذفِهِ وإبقاءِ صيغةِ الاستفعالِ دليلًا عليه.

بلاغةُ الوصلِ بالواو:

الاغـتـرارُ مفتاحُ الاستكبار

ابتدأتْ جملةُ: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ بالواو، وهي واوُ العطفِ التي عطفَتِ القولَ على الحالِ[2]، فيقولونَ باستهزاءٍ وغُرور: كيفَ لهم أنْ يَتركوا آلهتَهم لقولِ شاعرٍ مَجنون؟[3] فهو قولٌ مُقارنٌ لاستكبارِهم، ودليلٌ عليه[4]، وفي ذلك إشارةٌ إلى سوءِ مَوقِفِهم؛ إذ لم يَقِفوا عندَ الاستكبارِ عن الحقِّ، بل طَعَنوا في المُختار، وبينَ الاستكبارِ قَلْبًا والقولِ المذكور لفظًا تناسُبٌ قويٌّ؛ إذ هو مظهرٌ من مظاهرِ تجلّياتِ الاستكبار، فبينَهُما تلازُمٌ ظاهرٌ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 249.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 81.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107.

دلالةُ الفعلِ المُضارع (يقولونَ) مجموعًا:

من وجوهِ شدَّةِ الإصرارِ المجاهرةُ بالكُفر والتَّمالؤُ عليهِ

عبَّرتِ الآيةُ بفعلِ القولِ المُضارعِ المَجموع في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ﴾، الدالِّ على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ، فكلَّما تجدَّدتْ دعوتُهم إلى التَّوحيدِ؛ يصدرُ منهُم هذا القولُ، بما يُشيرُ إلى تمامِ إصرارِهم على الكُفْر[1]، وفي مجيءِ: (يقولون) مجموعًا إشارةٌ إلى أنَّه قولٌ مُتداوَلٌ بينهم، يُجاهرونَ به، ويذكرُهُ بعضُهم لبعضٍ مستمرّينَ عليه، وفي ذلك تصويرٌ لعمَلِ الفريقينِ المُتخاصِمَينِ في العذاب، حين كانتِ الدَّعوةُ تُلقَى إليهم.

دلالةُ الاستفهامِ بـ(الهمزة):

نقلُ الخصومةِ مع الحقِّ إلى أن تكون مع رسولِ الحقِّ

جاءَ الاستفهامُ في قولِهِ: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ بالهمزةِ، وهو استفهامٌ إنكاريٌّ لإظهارِ أنَّ ما يدعو إليه الرَّسولُ ﷺ أمرٌ منكَرٌ لا يُطمَعُ في قَبولِهم إيّاه، وهو أيضًا تحويلُ الأنظار منَ التَّفكُّر في كلمةِ التَّوحيد إلى النَّظرِ إلى صاحبِ الدَّعوة[2]، أي: قلب الخصومة بين الحق الإلهي والمشركين، إلى أن تكون بينهم وبين محمد ﷺ، كما كان شأن فرعون مع موسى عليه السلام.

بلاغةُ حشْدِ المُؤكِّداتِ:

الإنكارُ المؤكَّدُ المَتين عُنوانٌ صادقٌ على المُجرمين

جاءتْ جملةُ الاستفهام في قوله: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ بمؤكِّدات عديدة، هي: التَّأكيدُ بإنَّ، وباللّام، وبالجملةِ الاسميَّة؛ لبيانِ أنَّ إنكارَهم رسالةَ الرَّسول ﷺ أمرٌ لا رجعةَ فيه، وذلك لسدِّ المَنافذِ أمامَ التَّردُّدِ في دينِهم وصدقِ آلهَتِهم؛ تنزيلًا للمُخاطَبينَ مَنزلةَ مَن يَشُكُّ في إنكارِهم دينَ آبائهم وكفرِهم بالحقِّ[3].

عودُ الضَّمير في (إنّا):

أنفةُ المُستكبِرين عِلَّةُ ضَلالِهم المُبين

عادَ الضَّميرُ في (إنّا) من قوله تعالى: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ﴾ إلى هؤلاءِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 226.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 107.

المُستكبرين، وفي ذكرِ هذا الضَّمير شعورٌ بالعظمةِ والأنفةِ فيهم المنبئ عنها ﴿وَيَقُولُونَ﴾، كما تدلُّ على الجمعِ الَّذي يُعتقَدُ في قولِهِ الحقُّ والقوَّةُ، وكأنَّ هذا العملَ لا يليقُ بجَماعتِهم القويَّةِ وأنفَتِهم الكاذبةِ.

معنى اللّامِ في ﴿لَتَارِكُوٓاْ﴾:

ترك دينِ الآباءِ إجرامٌ في مُعتقَدِ الأبناء

جاءَ التَّعبيرُ في قوله: ﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ باللّام المُزحلَقة[1]، الدالَّة على تأكيدِ موقفِهم بأنَّهم ينكرونَ انقلابَهم عن دينِ آبائهم؛ إنْ هُمُ اتَّبعوا هذا الشّاعرَ المجنونَ، وفي ذلك إشارةٌ إلى شدَّةِ استنكارِهم أن يكون منهم ذلك، ودفعًا لأيِّ تردُّد في صحَّةِ دينِهم؛ إذ الانقلابُ عن دينِ الآباء إجرامٌ يقترفُهُ الأبناء، وإنْ كان ذلك الانقلابُ هو الدَّواء.

وجهُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعل ﴿لَتَارِكُوٓاْ﴾:

حدوثُ التَّركِ المحمود في تصوُّرِهم عقوقٌ وجحود

عبَّرتِ الآيةُ بلفظ: ﴿لَتَارِكُوٓاْ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾، وهو اسمُ فاعل؛ للدَّلالة على تمكُّنِ حالة الإنكار لهذا الوصفِ المُشينِ في زَعْمِهم، فهُم باتِّباعهم الرَّسولَ ﷺ يكونونَ - لا محالةَ - تاركينَ لآلهتهم، وفي ذلك إشارةٌ لاستبعادِهم ذلك تمامًا.

وجه استعمال مفردة (الترك):

ترك الآلهة كنايةٌ عن عدم الدفاع والنصرة لها

واستعمال مفردة الترك لبيان تمسكهم في الحاضر، وأنَّ مقتضى اتباع كلام الرسول سيؤول بهم إلى ترك آلهة الآباء، والترك هو كناية عن عدم الدّفاع والصبر على الآلهة؛ لأنَّ تركهم الآلهة لرسول الله ﷺ، هو نبذها وإبطالها، فكان عدم الترك هو الدفاع والنصرة للآلهة.

علَّةُ جمعِ الآلهة:

اتِّباعُ الرَّسولِ ﷺ اتِّباعٌ للتَّوحيد

جاءَ لفظُ ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ في قوله: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ مجموعًا، وعلَّة الجمعِ هنا هي استبعادُ أنْ يتركَ كلُّ صاحبِ إلهٍ إلهَهُ، فلئنْ تركَ بعضُهم آلهتَهم؛ فلن يتركَها الجميعُ، وهل يَجتمع النّاسُ على

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 265، والداني، الجنى الداني، ص: 130.

دينٍ واحدٍ؟ ففي ذلك إشارةٌ إلى استبعادِ توحُّدِ النّاس على إلهٍ واحدٍ، كما دلَّ الجمعُ على خلَلٍ في تصوُّرِهم لمقامِ الألوهيَّة، فقد اعتقدوا أنَّ الآلهةَ المتعدِّدةَ أنفعُ للنّاس مِنَ الإلهِ الواحد؛ لظنِّهم أنَّ كلَّ إلهٍ يقدِّمُ فائدةً لا يُقدِّمُها الآخَرُ، في حين أنَّ الإلهَ الحقَّ هو القادرُ على أنْ يفعلَ كلَّ شيءٍ دونَ مُعاونةٍ ومُؤازرةٍ، ففي الجمعِ تهكُّمٌ بهم؛ إذْ نطَقوا بما يدلُّ على خطَلِ مُعتقَدِهم الكاسِد.

وجهُ إضافةِ (الآلهةِ) إليهم:

غيّبوا عقولَهم فوَقَّوا لآلهتِهم ودينِ آبائِهم

أُضيفتِ (الآلهة) إلى ضميرِ المُشركينَ في قوله: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ إضافةً عهديَّةً، تدلُّ على تلك الآلهةِ المعروفةِ في زمنِ الخِطاب، ودلَّ تعيينُها على تقديسِهم لها وإيمانِهم المُطلقِ بصدقِها معَ اعتزازِهم بذلك الإرثِ الدّينيِّ المُعتاد، ففي اختصاصِ الآلهة بهم إشارةٌ إلى وفائِهم لآلهتهم، وحُبِّهم لما عليهِ آباؤُهم.

معنى اللّامِ في ﴿لِشَاعِرٍ﴾:

مِن عَمَى الكِبْر وصفُ الدّين الحقِّ بدعوةِ شاعِر

جاءَ التَّعبيرُ باللّامِ الجارَّةِ في ﴿لِشَاعِرٍ﴾ من قولِه: ﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ﴾، وهي لامُ العِلَّةِ والأجْل، أي: لأجلِ دَعوةِ شاعرٍ مَجنونٍ نتركُ آلهتَنا؟[1] أوْ لاتِّباعِ شاعرٍ مَجنون[2]، وفي ذلك إشارةٌ إلى ربطِ الكفّار بينَ تركِ دينِهم واتِّباعِ الرَّسولِ، في تقابلٍ يمنعُ من التَّردُّد فيما عندَهم، أوِ الإقبالَ على ما جاءَ به الرَّسول، ففي تعليقِ التَّركِ المنكَرِ باللّامِ الدالَّةِ على العلَّة إظهارٌ لمَدى بحثِهم وتفكيرِهم في تعليلِ ذلك الإنكارِ وعدمِ المُتابعة للرَّسول ﷺ.

نكتةُ إيثارِ وصفِ (الشّاعر):

استدعاءُ الأوصافِ دليلُ غيابِ الإنصاف

آثرَتِ الآيةُ وصفَ (الشّاعريَّة)؛ لتعليلِ إنكارِ تركِهم دينَ آبائِهم في قولِه: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾؛ لما يَشتغِلُ به

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 108.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 34.

أغلبُ الشُّعراءِ من حُسنِ الصَّنعةِ وجَمالِ العِبارة والبيانِ، ويكثرُ في كلامِهم الغلوُّ والكذب[1]، ففي وصفِ الرَّسولِ ﷺ بالشِّعر زيادةُ إبرازِ التَّقابُلِ بينَ دينِ الآباءِ ذوي الكلامِ الحكيمِ وبينَ كلامٍ يغلبُ عليهِ التَّخيُّلُ والافتراءُ، ويخلو من الحقِّ[2]، ولعلَّ ذكرَ وصفِ (الشّاعريَّة) يتناسَقُ معَ جوِّ السّورة، الَّتي تتكوَّنُ من مقاطعَ، تجعلُها شبيهةً بموسيقى الشِّعر وطرائقِهِ، وكان اختيارُ وصفِ (الشّاعر) في السّورة مُتناسِقًا معها، كما أنَّ فيه اعترافًا بأنَّ ما يقولُهُ هذا النَّبيُّ الكريم من كلامٍ هو طرازٌ رفيعٌ في البلاغةِ، حتَّى نسبوه للكلامِ الرّاقي، الَّذي يصدرُ من الشُّعراءِ الَّذين عندهم قدراتٌ على تخيُّلِ واقعٍ مُتوهَّم، ففي وصفِ (الشّاعريَّة) تقديرٌ لكلامِه البليغِ من جهةٍ ونسبةٌ له إلى التَّخيُّلِ والوهمِ من جهة أخرى.

دلالةُ التَّنكيرِ في ﴿لِشَاعِرٍ﴾:

التَّمسُّكُ بالمُبْطِلِ يأتي بالكلامِ المُضَلِّل

جاءَ لفظُ ﴿لِشَاعِرٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجۡنُونٖ﴾ نكرةً؛ للدَّلالةِ على التَّحقيرِ من شأنِ الرَّسولِ ﷺ، فهو مُجرَّدُ شاعرٍ من الشُّعراءِ، ولا يصحُّ أنْ يتركَ النّاسُ آلهتَهم لأجلِ قولِ شاعرٍ، فلا يستوي هذا معَ ذاكَ أبدًا، وفي التَّهجُّمِ على مَقامِ الرِّسالة بهذا الوصفِ بيانٌ لشدَّةِ إجرامِهم، واستحقاقِهم ما يفعلُ اللّه بهم من عَذابٍ وعِقابٍ.

سرُّ وصفِ الشّاعر بـ(المجنون):

التَّمادي في الوصفِ ترسيخٌ للصَّرف

وصفُ الكُفّارِ الشّاعرَ بـ(الجنون) في قوله: ﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونٖ﴾؛ لمزيدِ التَّنفير من الرَّسول ﷺ، فالنَّعتُ دالٌّ على الذَّمِّ والاحتراسِ عن الشّاعرِ الحكيمِ الَّذي يقول الحقَّ، ويوضِّحُ المنهجَ السَّويَّ، فلو أنَّهم اكتفَوا بوصفِ الشّاعرِ؛ لاعتقدَ بعضُهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 227.
(2) الراغب، المفردات: (شعر).

الحِكمةَ في شعرِهِ[1]، فضمّوا وصفَ الجنونِ إلى الشِّعرِ ليخلوَ الشِّعرُ من ذلك، ويغدوَ مُجرَّد آهاتٍ وزفراتٍ وتخليطٍ وهذيانٍ، ومثْلُهُ لا يُسمَع كلامُه، ولا يُصغى لقولِهِ[2]، والغرضُ منَ الوصفَينِ إنكارُ نبوَّتِه وصِدقِ رسالتِهِ.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 99.

(2) المراغي، تفسير المراغي: 23/ 54.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»